أساليب ووسائل تنمية الأخلاق عند الأطفال

١ - أسلوب الإثابة والتشجيع :

الارتقاء الأخلاقى يساعد الطفل على التحول شيئاً فشيئاً من التمركز حول الذات ومحاولة الحصول على اللذة الفردية الأنانية إلى الإنفتاح على الآخرين وتقبل القواعد الأخلاقية الاجتماعية ، والتى قد تكون ضد اللذة الفردية ، وطالما أنها قد تكون ضد الحصول على اللذة وهى التى يسعى إليها الطفل فلابد أن يواجه الطفل صراعاً داخلياً بين ارضاء لذته ومحاولة احترام حقوق الآخرين والتمتع بما ينبغى من الأخلاقيات العامة ، لذلك كان لابد من أسلوب لإحتواء هذ الصراع الذى ينشأ عند الطفل ومحاولة الأخذ بيديه إلى تجاوز هذه المرحلة بسلام .

وأسلوب الإثابة والتشجيع من أعظم الأساليب وأكثرها فائدة فى تقويم أخلاق الطفل لأنه يمثل له نوعاً من التعويض عما يمكن أن يفقده ، كما أنه يخدم حاجة الطفل إلى الحب ويغذيها ، كما أن الرفق واللين فى معاملة الطفل وتحفيزه أبلغ من الشدة وتؤتى ثمارها أكثر حتى مع الكبار ، وفى الحديث « يسروا ولا تعسّروا »[١] .

إن ما نظهر للطفل من الثقة به عندما نسمح له بالقيام بمشروع ما وتشجيعنا له فى محاولاته أهم لنموه ونضجه أكثر من نجاحه الأخير أو فشله فى المشروع ، وهناك قاعدتان فى غاية البساطة يجب اتباعهما :

---

١ رواه مسلم بمثله .

١ – امتدح ما قام به الطفل من عمل وقدّر نجاحه المحدود فيه .

٢ – اعمل على أن تعطى الطفل عدة أعمال يمكنه القيام بها »[١] .

وما ينطبق على الأعمال تلك ينطبق على الأخلاق بصفة عامة فمثلاً إذا وجدت عطفاً من الطفل على أخيه الصغير فامتدح ذلك الشعور ، وإذا وجدت منه تعاوناً مع الآخرين فامدحه أيضاً وشجعه أكثر على التعاون والحب ، وقد يحاول طفلك مساعدتك وأن تصلح شيئاً ما فى المنزل ولكنه قد يفسد أكثر مما يصلح ، فلا ينبغى عليك أن تحبطه أو تقول له لقد أفسدت ، ولو كنت جلست كان أفضل ، كلا ولكن امتدح فعله وشجّعه ، فهو الأن يفسد لكنه غداً يصلح ، ولن يتعلم إن لم يتعلم من المحاولة والخطأ ، وأخطر ما فى ذلك هو أن الطفل قد يحس منا عدم ثقتنا به ، فيحجم عن الأعمال والتى ربما يستطيع فعلها ويجيدها لأننا لم نشجعه فسبّبنا له نوع من الإحباط .

٢ – أسلوب التهديد والعقاب :

تحدثنا عن إثابة الطفل وتشجيعه عند قيامه بالأعمال الحسنة أو محاولة القيام بها ، ولكن ماذا لو وجدنا سلوكاً سيئاً من الطفل ؟!! .

والسلوك السيئ من الطفل نوعان :

١ – سلوكاً سيئاً غير متعمد .

٢ – سلوكاً سيئاً متعمداً .

أ – النوع الأول يحدث عادة من الأطفال دون سن السادسة فهم عادة مخربون يميلون إلى العنف مع الآخرين ، وهم غاضبون ثائرون لأتفه الأسباب ،

---

(١) عن كتاب « لماذا ينحرف الأطفال » ، تأليف / شالز وليونارد ، ترجمة د / محمد نسيم رأفت .

يملّون الأشياء بسرعة ، يحبون التحول من لعبة لأخرى ، وربما يلعبون باللعبة التى يحبونها ، ثم يقومون بتحطيمها بعد اللعب بدقائق ، وكل هذه السلوكيات مقبوله من طفل ما بين السنة الثانية والسنة الخامسة ، ولا يجب أن تواجه من الأبوين بعنف أو تهديد ووعيد ، « وإذا اتفقنا أن كل كائن حى له ثوراته الإنفعالية فمن الأفضل أن ندع تلك الثورات الإنفعالية – للطفل – تخرج فى المنزل »[١] .

كما أن كذب الأطفال فى هذه السن لا يمثل خطورة فهو أمر طبيعى ، وكما تحدثنا من قبل أن هذا السن هو سن تخيل عند الأطفال ، وتخيل أشياء من الواقع ، فقد يقول لك ابنك مثلاً : إننى ركبت اليوم الحصان يا أبى ، أو إننى ضربت الكلب ، فهو لا يكذب ولا يدرك معنى الكذب ولكن خياله قد رسم له هذا الأمر الذى يحبه ، كذلك سرقات الطفل فى هذه السن لا تعبر عن عدم الأمانة لأنه لا يعرف الفرق بين ممتلكاته وممتلكات الغير ، ولا يحترم حقوق الآخرين ، فلا يجب أن نعامله بعنف إن حدث شيئاً من هذا ، ولكن يجب أن نعلمه برفق أن هذا الشيئ يخص فلان وهو ملكه ، كذلك يجب علينا نحن أن نعود الطفل على احترام ممتلكاته ، فلا نتعدى نحن عليها ولا نمنعه منها ، وإذا أردنا أن نجعله يتركها قليلاً لشيئ آخر أهم فيجب علينا أن نخصص له مكاناً ليحفظ فيه ممتلكاته ، إن عدم احترامنا لممتلكات الطفل يجعله لا يحترم ممتلكات الآخرين .

ولكن ماذا يحدث لو كان سلوك الطفل سلوكاً سيئاً متعمداً ، فمثلاً

عن كتاب « كيف نعيش مع الأطفال » ، تأليف أوديت نيسر « بالإشتراك مع هيئة جمعية حياة الأسرة » ، ترجمة / سامى على الجمال .

سمير طفل فى السابعة من عمره كل همه مضايقة زملاءه فى الفصل ومدرسته كثيرة الشكوى منه لعدم انتباهه وكثرة مشاغبته ، والطفلة دعاء فى الثامنة من عمرها ، وقد اكتشفت المدرسة أنها استولت على ممتلكات بعض زميلاتها ، حدث ذلك أكثر من مرة ، والغريب أنها كانت تقوم بتحطيم هذه الممتلكات التى تخص زميلاتها ... .

كيف يواجه والدة سمير هذا السلوك السيئ وكيف يواجه والد دعاء ووالدتها سلوكيات دعاء الغير مقبوله ممن هو فى مثل سنها ؟! .

بعض الآباء يكون أول رد فعل لهم جنونياً انفعالياً غير منضبط ويظن أن الولد سوف يصبح منحرفاً وأنه قد وقع فى شرك الشيطان ، فيعمد إلى إيذاء الطفل أو ضربه ضرباً مبرحاً ، ولكن هذا ليس علاجاً ، وإنما هو مجرد تنفيس عن ثورة الوالد الإنفعالية ، لكن ما مدى تأثيره على سلوك الولد فى المستقبل ؟ إنه لا شيئ ! .

يجب أولاً أن يبحث الوالد عن السبب الذى دفع الطفل لإرتكاب تلك الحماقات ، فقد يكون الوالد هو السبب ، فإن الطفل الذى لا يشعر بالحب من الوالدين وهما دائماً يعاملانه بقسوة قد يدفعه ذلك إلى السرقة من أجل الشعور بأنه يملك أشياء كثيرة من شأنها أن تبعث فيه الإحساس بالأمان ، وقد تكون الغيرة من الصديق دافعاً قوياً للسرقة ، وفى المثال الذى ذكرناه فإن دعاء كانت تقوم بسرقة ممتلكات زميلاتها وتحطمها لأنها كانت شديدة الغيرة منهن حيث أنهن كن يتكلمن أمامها أنهن يملكن كذا وكذا ، وهى ليست معها مثلهم ، فإن إهمال أبويها لحاجاتها المدرسية وعدم كفايتها كما زميلاتها دفعها لتحطيم حاجات زميلاتها حتى تتساوى الرؤوس ، كما أن عدم انتباه سمير فى الفصل

قد يكون ناتجاً عن ضعف فى التحصيل الدراسى دفعه إلى محاولة المشاغبة حتى لا يشعر بالملل أثناء الدرس فهو لا يفهم منه شيئاً وبالنسبة له نوع من الملل والسأم .

وقد يكون كذب الطفل المتعمد فى هذه السن تقليداً للكبار ، وهو لا يدرك تحديداً أنه كذب بنفس المعنى الذى ندركه ، فقد يحدث من الوالد فى لحظة عابرة عندما يطلبه على التليفون صديق ثقيل أو من لا يريد أن يتحدث معه فيقول لولده أو لأمه أخبريه أننى غير موجود ، وهذا ليس شيئاً بسيطاً وإنما يتعلم منه الطفل أن الكذب هذا شيئ عادى ... .

وليس معنى أننا يجب أن نفهم السبب وراء سلوك الطفل السيئ أننا لا نواجهه المواجهة المناسبة ، بل يجب أن يعلم أن هذا السلوك لا ينبغى أن يتكرر ، وأفضل وسيلة لعقاب الطفل على سلوكه هو أننا أولاً لا نقره عليه ونوبخه – ليس أمام الغرباء – .

ثانياً : على الطفل أن يتحمل نتيجة فعله السيئ ، فمثلاً إذا سرق الطفل شيئاً فلابد أن يقوم بإرجاعه إلى صاحبه مع تقديم الاعتذار المناسب .

وإن كان هذا الشيئ قد فسد فلابد من تعويض صاحبه تعويضاً مناسباً ، ويقتطع ثمن الشيئ من مصروف الطفل ، لابد أن نعمل على أن لا يجنى الطفل من وراء سرقته إلا الخسارة ، كل هذا مع عدم إشعار الطفل بالمذلة أو أننا نكرهه أو لا نحبه بل إننا نحبه وخائفون عليه ونحب أن يكون طفلاً سوياً محبوباً من الآخرين متمتعاً بأحسن الأخلاق كما الأطفال الممتازين كل هذا لابد أن يشعر به الطفل ، لابد أن نكسب ثقته ، فكلما كانت ثقة الطفل فينا كبيرة كلما تغلبنا على مشاكله بل ووقيناه منها قبل وقوعها .

٣ - أسلوب الإرشاد والتوضيح :

وبما أننا رفضنا أسلوب الضرب والتهديد كعلاج للطفل السيئ السلوك المتعمد فإننا نقرر وبالإضافة إلى ما ذكرناه من محاولة فهم العوامل والأسباب وراء سلوك الطفل السيئ ، نقرر أنه لابد لنا من توضيح الآثار المترتبة على فعل الطفل بأن نخبره بأن فعله هذا يؤثر عليه سلباً بأنه يصبح ولداً غير محبوباً من قبل الناس ومنبوذ ، كما أن فعله هذا يعرضه للعقاب فى الدنيا والآخرة « العقاب الإلهى » فنخوفه من النار بما يناسب قدراته العقلية ، وأن هذا الفعل أيضاً له آثار ضاره على غيره من الناس ... وهذا الأسلوب يجعل الطفل يفهم لماذا عليه أن يبتعد عن السلوك السيئ ، وينمىّ ملكه الضبط الذاتى عند الطفل ، بهذا يفهم الطفل أسباب عدم قبول سلوكه ، بينما إذا قمنا بضربه أو تهديده مع عدم توضيح ما ذكرناه ، فإنه ربما ينتهى عن السلوك السيئ أمامنا فإذا غبنا عن عينه فإنه يلجأ إلى تكرار ذلك السلوك .

٤ - أسلوب التجاهل العقابى :

يلجأ البعض إلى تجاهل الطفل صاحب السلوك السيئ وعدم إعطاءه الحب والعطف والحنان كأسلوب عقابى له لسلوكياته السيئة الغير مرضى عنها من قبل الوالدين ، وهذا الأسلوب أشد خطورة من أسلوب الضرب والتهديد ، فكما ذكرنا أن معظم المشكلات السلوكية الخاطئة التى تحدث لأطفالنا هى فى الأصل مشكلات نشأت عن نقص عاطفى وتوتر انفعالى وفقدان للثقة فى الكبار ، فكيف يكون العلاج بالحرمان من الحب أو من البقية الباقية من العطف والحنان ؟!! ، فالطفل لا يفهم التهديد بعدم الحب الوقتى بل هو يخاف أن يفقده نهائياً وهذا يزيد توتره وقلقه .

« يجب ألا نستخدم الحب أداة لإجبار الأطفال على أن يكونوا طيبين وذلك بتهديدهم بعدم حبهم أو بمنحهم الحب على أساس سلوكهم الحسن ، فلا يجب استخدام الحب كقوة للمساومة ، إن العقاب عادة وسيلة سلبية للتدريب ، ولكن التهديد بالحرمان من الحب يؤدى إلى ضرر إيجابى ، فسيكوّن الطفل فكرة مشوهة عن الحب ويراه شيئاً يمكن أن يمنح أو يمنع تبعاً للإرادة ، وأن ذلك الحب لا يعتمد على شخصيتنا بالذات ، وإنما على ما نقوم به فى لحظة معينة ، وقد يخشى أن ينتهى هذا الحب فى يوم من الأيام ، وستتكون عنده أيضاً فكرة مشوهة عن قيمة بعض الفضائل ، بأن هناك شيئ ثمين كالحب يعتمد على النظام والطاعة الجامدة للمسئولين أكثر من الشجاعة الأدبية » [١] .

عن كتاب « كيف نساعد الأطفال على تنمية قيمهم الخلقية » ، تأليف أ / د أشلى مونتاجيو .